وكذلك ليس المقصود باللفظ الرقيق أن يكون ركيكًا سفسفًا ، وإنما المقصود اللطف ، ورقة الحاشية ، ونعومة الملمس ، كقول أبي تمام :

ناعِمات الأطْرافِ لو أنّها تلْـ بسُ أغْنَتْ عَنِ الملاءِ الرِّقاق [1]

فعملية التحديد قامت على تعبيرات مطّاطة ، لا يمكن الخروج منها بمفهوم يمكن تطبيقه على النصوص التي يمكن أن تعرض للدارس ليستخلص منها خواصها التعبيرية في الرقة والجزالة ، وأظن أن هذا ما خطر لابن الأثير؛ إذ نراه يعود ليدقِّق المصطلحين أكثر بتجسيد دلالتهما ، حيث جعل « الألفاظ الجزلة تتخيَّل في السمع كأشخاص عليها مهابة و وقار ، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ، ولين أخلاق ، ولطافة مزاج؛ ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم ، واستلأموا سلاحهم ، وتأهبوا للطِّراد . وترى ألفاظ البحتري كأنها نساءٌ حِسان عليهن غلائل مصبغات ، وقد تحلَّين بأصناف الحلي . » [2]

وقد مايز أبو هلال بين الشعراء وفضَّل بعضهم على بعض بحسب قدرة الشاعر الإبداعية في صياغة الجزل والرقيق ، ومن هذا الوجه فضَّلوا جريراً على الفرزدق ، وأبا نُواس على مُسْلِم . قال جرير :

طَرَقَتْكَ صائِدَةُ القُلوبِ وَلَيْسَ ذا وَقْتَ الزِّيارَةِ فَارْجِعي بِسَلامِ
تُجْري السِّواكَ عَلى أغَرَّ كَأَنَّهُ بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتونِ غَمامِ

« فانظر إلى رقة هذا الكلام . » [3]

---

(١) ابن الأثير : المثل السائر ، ج١ ، ص ٢٤٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ . (٣) الصناعتين . ص ٢٥ .